رحلة الحج عند الشاعر المغاربي محمد بن الطيّب الفاسي (دراسة تحليلية)

The Hajj Journey of the Poet Muhammad ibn al-Tayyib al-Fassi (An Analytical Study)

Dr. Ghassan Abdul Majeed
Assistant professor Faculty of Arabic
International Islamic University Islamabad
Email: ghassan.abdulmajeed@iiu.edu.pk

Abstract
The poets of the Ottoman Empire in the Maghreb formed an important part of the literary and cultural heritage of the region over a long period of time spanning about four centuries, and during this period there were great changes and developments in literature and poetry in particular, as the poets of Morocco reflected in the mixed cultural influences between Arabic, Amazigh and Ottoman.
Despite the lack of historical sources dealing with the literature of this period on the one hand, or that these sources are insufficient to accurately document the lives and works of poets, the literary heritage or manuscripts we have received reflect a unique literary experience experienced by Maghreb poets, albeit often traditional.
The reader of the literature of that stage finds a clear mixture between Arab and Amazigh culture, as this is evident in the poetic style and the choice of words and phrases with a clear diversity of poetic purposes that were dyed with the dye of asceticism and mysticism, and a good number of poets have emerged whose poems were distributed in biographies, Such as the poet Ahmed Al-Mansur Al-Kettani (1566-1603), who lived during the rule of the Ottoman Sultan Ahmed Al-Mansur, who ruled Morocco in the sixteenth century, and the renewed Imam Abdullah Al-Ghalib Al-Alusi (1626-1692), who was an Islamic scholar and poet, and wrote many poems that dealt with religious and social issues, and Muhammad bin Al-Tayyib Al-Sharqi Al-Fasi Al-Maleki, the scholar, modernist and poet.

تمهيد

شـكّل شـعراء الدولة العثمانية في المغرب العربي جزءا مهما من التراث الأدبي والثقافي للمنطقة على فترة طويلة من الزمن امتدت زهاء أربعة قرون، وخلال هذه الفترة حدثت تغييرات وتطورات كبيرة على الأدب والشـــعر خاصة، حيث عكس شعراء المغرب في التأثيرات الثقافية المختلطة بين العربية والأمازيغية والعثمانية.

وعلى الرغم من قلة المصادر التاريخية التي تناولت أدب هذه الحقبة الزمنية من جهة، أو أن تلك المصادر غير كافية لتوثيق حياة وأعمال الشعراء بدقة، إلا أن ما وصلنا من تراث أدبي أو مخطوطات ينمّ عن تجربة أدبية فريدة عايشها شعراء المغرب العربي وإن كانت تتسم بالتقليدية في غالب الأحيان.

والقارئ لأدب تلك المرحلة يجد امتزاجاً واضحا بين الثقافة العربية والأمازيغية حيث يظهر ذلك جليّاً في الأسلوب الشعري واختيار الألفاظ والعبارات مع تنوع واضح في الأغراض الشعرية التي صُبغت بصبغة الزهد والتصوف، وقد برز عدد لا بأس به من الشعراء الذين توزّعت قصائدهم في كتب السير والتراجم كالشاعر أحمد المنصور الكتاني (1566-1603) الذي عاش خلال حكم السلطان العثماني أحمد المنصور الذي حكم المغرب في القرن السادس عشر، والإمام المجدّد عبد الله الغالب الألوسي (1626-1692) الذي كان عالما إسلاميا وشاعرا، وكتب كثيرا من القصائد التي تناولت القضايا الدينية والاجتماعية[1]، ومحمد بن الطيب الشرقي الفاسي المالكي العلامة والمحدث والشاعر، والذي سأتناول رحلة الحج في أشعاره فيما يلي من صفحات.

الكلمات المفتاحية: العصر العثماني، المغرب العربي، الحجّ.

الشاعر محمد بن الطيب الفاسي

محمد بن الطيب ابن محمد بن محمد بن موسى الشرقي الفاسي المالكي الشهير بابن الطيب نزيل المدينة المنورة[2]، وقد كان شيخا إماماً محدثاً على دراية بعلم اللغة، يُكنى بأبي عبد الله شمس الدين، كان مولده بفاس سنة عشر ومائة وألف، حيث نشأ فيها وأخذ عن جملة من العلماء منهم والده ومحمد بن محمد المسناوي ومحمد بن عبد القادر الفاسي ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ومحمد بن عبد السلام البناني ومحمد بن عبد الله الشاذلي، وغيرهم من علماء ذاك العصر حتى إنّ والده استجاز له من أبي الأسرار حسن بن علي العجيمي وعمره نحو سنتين والسيد عمر البار العلوي وغيرهم ممن ينوف على مائة وثمانين شيخاً[3].

برع الشيخ إلى أن أصبح إمام أهل اللغة والعربية في وقته، إضافة إلى كونه محققاً فاضلاً متضلعاً في كثير من العلوم، ومما جعله مشهوراً تدريسه في الحرم النبوي الشريف، حيث انتفع الطلبة بعلمه وفقهه وأدبه، ثم يمّم وجهه أرض الروم فسلك الطريق الشامي ورجع منها على الطريق المصري وأخذ عنه في الشام ومصر خلق كثيرون وحصل بينه وبينهم مباحث في فنون من العلم[4].

للشيخ الأديب مؤلفات جمّة، منها: حاشية على القاموس وشرح نظم فصيح ثعلب في مجلدين، وشرح على كفاية المتحفظ، وحاشية على الاقتراح، وشرح كافية ابن مالك، وشرح شواهد الكشاف، وحاشية على المطول، وغير ذلك من المصنفات مما ينوف على خمسين مصنفاً وله شعر لطيف ينبئ عن قدر من البراعة وحسن الحبك، توفي رحمه الله عام سبعين وألف ومئة للهجرة[5].

رحلة الحج في أشعار ابن الطيب الفاسي

ألهمت رحلة الحج التي تعدّ من التجارب الوجدانية والنفسية والإنسانية الخالدة الشعراء والأدباء، ومنحتهم من جلالها وعظمتها مشاعر وعواطف روحية عميقة جداً، إضافة إلى أن هذه الرحلة لم تكتفِ بإثارة خيال الشعراء بل مدّتهم بصور حسية عايشوا واقعها في كل منسكٍ وشعيرة، ومع تهيج هذه النفوس بأرقى المشاعر الإنسانية، كانت هناك معانٍ دفّاقة يضمنها الشاعر قصائده فتعود بنا إلى الصفاء الأول والتاريخ المجيد لبدء الدعوة الإسلامية وانتشارها من عرصات مكة الفساح إلى كلّ بقاع الأرض.

إن هذه الرحلة القدسية دعت شاعرنا أبا الطيب الفاسي إلى التجرد من زخارف الحياة مع ارتدائه ملابس الإحرام، والتوجه إلى تلك الديار المقدسة ليصف لنا في كل منسك شلالاً من المعاني الدينية والإنسانية، متتبعا بذلك مسار الرحلة من لحظة الفوز الكبير بالذهاب إلى تلك الديار الطاهرة، يقول:

لَقَد فُزنا وللّه الثناءُ وأدركنا من المولى العَطاءُ

وأشرَفنا على حرمٍ أمينٍ له من كلّ ناحيةٍ يُجاءُ[6]

فالحج أعطية يهبها الخالق لعباده، ورحلة تستحق عناء السفر لأنها رحلة الحقّ والحقيقة، يبتعد الإنسان فيها عن الأحقاد ويجمع شتاته المتناثرة، فاللاجئ لتلك الديار لن يناله الأذى، وهنا يكثف ابن الطيب من صوره المعبرة عن حالة الوجد التي تعتمر قلبه، فما حاجة فؤاده إلى الوصل إلا كحاجة رياضٍ غرثى إلى حبات الندى، يقول:

بدا لكَ الحقُّ فاقطع ظَهرَ بَيداءِ واهجُر مقالةَ أحبابٍ وأعداءِ

واقصِد على عَزمةٍ أرضَ الحجازِ تجِد بُعداً عن الحَطِّ في نَزلِ الأوِدّاءِ

وقل إذا نِلتَ من أمِّ القُرى أرَباً وهوَ الوُصول بإسرارٍ وإبداءِ

يا مَكَّةَ اللهِ قد مَكَّنتِ لي حَرَماً مُؤَمَّناً لستُ أشكو فيه من داءِ

فَمُذ رأى النازحُ المسكين مَسكَنَهُ في قُطرِكَ الرَحبِ لم يُنكب بإيذاء

شوقُ الفؤادِ إلى مَغناكِ مُتَّصِلُ شَوقَ الرياض إلى طلٍّ وأنداءِ[7]

ورحلة الحج شعيرة اجتماعية تكون بشكل جماعي، ولا أحلى من تلك الرفقة الطيبة التي تنشأ بين أعضاء وفود الحجاج، فيصف ابن الطيب مواكب الحجيج الشبيهة بالأمواج المتدفقة من البشر، يدعون الله ويلحون في الدعاء، تردد الصحراء صدى هذا الدعاء، وقد اجتمعوا من كل حدب وصوب وقصدوا تلك الديار المقدسة:

فها نحنُ وَفدُ اللهِ حجاجُ بيتهِ وطيبَةَ إذ من طيبها الكونُ طابا

قَصَدناكَ في نيلِ المقاصدِ كُلّها ومثلُكَ من بالمكرمات أجابا[8]

ولا يغفل شاعرنا الحالة الشعورية التي تتأتى من مشاهد رحيل هذه الوفود، فها هم وقد استعدُّوا للتَّوجُّه لأرض الحجاز المقدَّسة، ووقف أهلوهم يودّعونهم، ودموع الشّوق تنهمر من عيونهم، وأُمنيات التَّوق إلى الحرم الشريف تنطق من وجوههم، وها هي نغمات الشّعر تعلو مع نبضات القلوب، وتوقع أعذب ألحان الوداع، هو شكل من أشكال التوزّع الروحي بين البعد عن الأهل والشوق لهم، واللهفة إلى بلوغ الأراضي الطيبة، يقول الشاعر وقد علل نفسه بزيارة المصطفى والالتجاء بحماه عمّا سيعانيه من حرارة الشوق إلى الأهل والأصحاب:

نُوَدّعكم ونودعُ اللُبَّ والقَلبا لَدَيكُم أيا مَن لم يزالوا لنا قلباً

ونَسألكم أن تعذِرونا وتَسمَحوا ولا تَعدروا كلاً ولا تُكثروا عتباً

وما كان هذا البَينُ واللهِ عن رضىً ولكنّه وصلُ نطيعُ به الربا

وفي ضمنهِ زيارَةُ المصطفى الذي لهُ خَلَقَ اللَهُ المشارقَ والغَربا

عليه صلاةُ اللِه ما ذَرَّ شارقٌ وما طَلَعت شمسٌ فَأذهَبَتِ الشُهبا[9]

وإذا ما تتبعنا السيرة التاريخية لمكة المكرمة نجدها حاضرة في قصائد الشعراء حتى قبل البعثة النبوية، ولعل أهمها تلك التي ورد فيها ذكر مكة والكعبة في الشعر الجاهلي في عام الفيل عندما جاء أبرهة وجيشه لهدم الكعبة، وفي هذا قال عبد المطلب داعياً:

يا ربّ لا أرجُو لهُم سِوَاكَا يا ربّ فامنعْ منْهُم حِمَاكَا

إنّ عدوَ البيتِ من عداكُما امنعهمْ أن يخرِبُوا قِراكَا [10]

وبعد البعثة النبوية الشريفة تأصلت مكة المكرمة وقدسيتها في نفوس المسلمين، وكان الحج هو الركن الخامس أملاً يتطلع له كل مسلم ليلقي بثقل حمله في عرصات مكة الفساح ويعود وقد تطهر من ذنبه، يقول شاعرنا في ذلك:

هذي أباطحُ مكّةٍ حولي وما جمَعَت مشاعرُها من الحُرُماتِ

أدعو بها لبّيكَ تلبِيَةَ امرِىءٍ يرجو الخلاص بها من الأزَماتِ[11]

ثم يشرع في وصف الكعبة الغراء بعاطفة قوية متأججة، يصورها وقد لفها النور والشذا الذي يأخذ بالألباب والقلوب، فتترك أثرًا كبيرًا في النفس عند ذكرها، وتلهب القلوب لوعة وحنينا لزيارتها ورؤيتها.

وهنا يعتمد الشاعر على التصوير الذي يعطي بعداً حسيا ونفسيا فيشبه الكعبة بالملكة المتزينة بالجواهر وحولها حراسها وهم الطائفون:

كَعبَتُنا قَد أصبَحت بنورِها مُخَلَّقَه
تَهُبُّ من أركانها رياحُ عِشقٍ عَبِقَه
فصيَّرَت قُلوبنا بالوَجدِ كالمُطَوَّقَه
وغادرت أرواحَنا بعَرشِها مُعَلَّقَه
مليكةٌ بجوهرِ الذ كرِ غَدَت مُمَنطَقَه
والطائفونَ حَولها جنودُ تِلك الحَلَقه[12]

فالبيت العتيق وما يحيط به مكان سرى فيه الروح الأمين بالرسالة القرآنية التي أحلت الحلال، وحرمت الحرام في جلاء ووضوح لا مجال فيه لشك أو ريب، وهنا يأتي التذكر بالنفع والثمرة المنتظرة بعد أداء الفريضة، إنها الثمرة التي تشفى بها الأرواح من مرض، وتهدى بها العقول من بعد ضلالة، لا خوف هناك ولا حزن بل سرور وهناء وقبول للدعاء وللرجاء، فالشيطان محرّم عليه النزول بتلك الديار، وليس للغواية إلى الإنسان سبيلا، هناك ملائكة أخيار تحف الإنسان من كل جانب، يقول:

وإذا ما دخل الإنسان الحرم وجاور الكعبة وبدأ بالنسك مع الطواف بحركته الدائرية المنتظمة مروراً بالحجر الأسود، والسعي ببعده الأفقي، والوقوف بعرفات بعزتها واستجابتها للدعاء، ورمي الجمرات بثورتها على كل

حَمانا مِن مخوفِ الدهرِ بيتٌ له بالذكر أركانٌ وسَقفُ
مَحوطٌ بالسرور وبالتهاني عليه البشرُ والإقبالُ وقفُ
نَزَلنا في فناءٍ منه رَحبٍ به الآمالُ ليس بِهِنَّ خُلفُ
فأَرشَفَنا مِنَ الإكرام ثَوباً يزيدُ على المدى طيباً ويَصفو
وألبَسَنا من الإكرام ثوباً لهُ بالأمنِ والإسعافِ سُجفُ
يَصُدُّ عَدُوَّنا الشيطانَ عَنّا ويُتحِفُنا ملائكةٌ تَحِفُّ[13]

وسواس، هي مناسك مشبعة بالذكريات التاريخية الحاسمة في تاريخ من سلف، فالمطاف شهد وديعة إبراهيم، والمسعى شهد ركض هاجر وهي تلهث باحثة عما تسد به رمق الرضيع، وكل ما تقدّم شهد تاريخ الكفاح العظيم الذي خاضه رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم مع قومه ليثنيهم عن عبادة الأصنام، فعندما عاش شاعرنا تلك المناسك نهضت مخيلته لتكسر حدة شعوره وتصبغ روحه بالخشوع والخضوع تارةً، وتملأ نفسه

بالعزة والشموخ تارة أخرى، فهو حينما يسعى ويطوف تعتمر قلبه أحاسيس خالصة مرتبطة بتلك المناسك عبر تكوين ديني وعقلي وثقافي، فينعم بالأُنس ويحفل بالرضا، يقول:

نطوفُ بذاكَ البيتِ طوراً وتارةً نُلِمُّ بهاتيكَ البِقاعِ فَنَلثُما
وآونة نأتي إلى الحجَر الذي سَما قَدرُهُ حتى تطاولَ للسّما
نُعَفِّر فيه الخَدّ والوجهَ كلَّهُ ولستُ أرى مِمَّن يخُصُّ به الفَما
وطوراً نصلي ثم نَسعى إلى الصفا ليُصفي الفؤادَ المستهامَ المُتَيَّما
ونُسرعُ كي نَلقى المنى ولدى منى نُخَيِّمُ فيمن كان لليُمنِ خَيِّما
ونَجني ثمارَ العُرفِ في عَرَفاتِهِ ونَغرِفُ منه الخيرَ غَرفاً مُعَمَّما
ونَبرأ من كلِّ العقابِ إذا دَنَت عقاب جمارٍ تُحرِقُ الذَنبَ أينَما
ونُصبِحُ فيمن بَرَّ للّه حَجُّهُ وأصبحَ في تلك الرياض مُنَعَّما[14]

فنلحظ أن الشاعر عندما تحمله رجلاه سعياً وهرولةً بين الصفا والمروة، يعيش حالة الاستحضار لذكرى عميقة تمس الوجدان، فتحدث به ندوبا وآثارا تبقيه في حالة خشوع وانكسار من جهة، ومن جهة أخرى بنشاط وحيوية منقطعة النظير، إذن فهذه الشعيرة ذات بُعد نفسي وآخر جسدي عايشهما الشاعر وصورهما تصويرا جميلا عندما صفا قلبه وزادت مروءته عندما سعى بين الصفا والمروة، وكأنه يقول لنا لكل شيء له من اسمه نصيب:

صَفا القلبُ مِنّي إذ وَقَفتُ على الصفا فللِه رَبعٌ فيه كلُّ امرئٍ صَفا
وأمسى فُؤادي لَيِّناً ذا سُهولةٍ وقد كان قِدماً وهو أقسى منَ الصَفا
وفي المَروَةِ الغَرّاءِ زادت مُرُوَّتي كمالاً ولِم لا وهي منزلةُ الوَفا[15]

هي رحلة السعادة الروحية والوجدانية، والمتعة الإيمانية اللامتناهية، فالطواف مظلةٌ من الأمن والاطمئنان حيث لا خوف ولا خطر، ويُختصر جمال الكون عند المقام بركعتين، وتلتهب الروح قبل الجسد شوقا بسعيها بين الصفا والمروة، فكيف إذا انتقل شاعرنا إلى الإحساس بالماديات، عندما ارتوى من ماء زمزم وكوثره العذب الذي يغسل كل كدر وبلاء، يقول:

يا سائقاً غَنّ النياقَ وزَمزَما أبشِر فقد جئتَ المقامَ وزَمزَما
كم كُنتَ تُذكِرني منازِلَ مكَّةٍ وتقول إنَّ بها المنى والمغنَما
برِّد بماء سقايَةِ العبّاسِ ما كابدتَهُ طولَ الطريقِ منَ الظما[16]

فأجواء الحج ومشاهد أرض المشاعر المقدسة يوظفها الشعراء أيّما توظيف في وصف الثورة الداخلية للتجربة الجديدة الممزوجة بالفطرة السليمة للحاجّ الذي يرى في اجتماع الحجيج بمنى وعرفات سمو شعائر الإســـلام وتحقيق الغاية الروحية المرجوة بتطهير النفس من أدرانها، والتنعّم بالأمن والأمان بعد خوف وتعب، يقول واصفا هذا الشعور:

بلَغنا المنى لما بَلَغنا إلى مِنىً وزال العَنا عَنّا فَلم نُعنَ بالعَنا

وحُصِبّتِ الآثامُ عندَ مُحصَّب وبالخَيف زال الخوفُ عن كلِّ من عنى[17]

ومن الطواف والسعي والاستمتاع بشرب ماء زمزم والتطيّب فيه إلى الوقوف بعرفة، وهنا يستدعي الشاعر قوله صلى الله عليه وسلم: (الحج عرفة)18، فهناك وقف النبي صلى الله عليه وسلم وألقى خطبة الوداع في ذلك المكان المقدس الشريف الذي يتوافد إليه الحجيج، ومن الملاحظ أن الشاعر ابن الطيب اعتبر الحج رحلة استشفاء إلى جانب كونها رحلة الطاعة، فلتأثير المناسك على جسده وروحه تأثير الدواء الشافي ونيل الرضا والفوز بالعطايا الربانية والمكرمات الإلهية، يقول عند الوقوف بعرفات ثم الإفاضة يليها المشعر الحرام:

قَد عَرَفنا الخيراتِ في عَرَفاتِ وضُمِنّا من سائرِ الآفات

وظَفرنا بما أردنا وفُزنا بعُلى القُصور والغُرُفاتِ

وازدَلَفنا لربّنا وجَمَعنا كلَّ خيرٍ بجمعِ مُزدلفاتِ

ولدى المشعَرِ الحرامِ شَعَرنا بقبول الأعمالِ والدعواتِ[19]

أما الرحلة الروحية الثانية فكانت إلى المدينة المنورة نقطة جذب المحبين، إنها طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسجدها الشريف الملفع بالنور الإلهي به الجلال والجمال. هي طيبة التي تعد نقطة اتصال السماء بالأرض؛ لتسمو بالنفوس إلى العلا نورا وعلما وهمة وثقافة وبناءً وحضارة، نوراً أضاء الجزيرة العربية، وأضاء قصور بصرى الشام، وأضاء المدائن، وامتد إلى الصين شرقًا، وإلى الأندلس غربًا، وشاعرنا ابن الطيب عاش هذه الأجواء الساحرة بدخوله مدينة رسول الله فجاء لنا بصورة شعرية تمثيلية طافحة بالمحبة والتقدير والإعجاب بنيل حظوة التشريف بوطء قدمه تلك الأرض الطاهرة، يقول:

يا مَن به طيبةٌ طابَت حلى وعُلاً ومَن بتَشريفه قَد شُرِّفَ العَرَبُ

يا أحمدُ المصطفى قد جئتُ من بلدٍ قاصٍ ولي خلَدٌ قاسٍ ولي أَرَبُ

ومُذ دَهَتني ذنوبٌ قلتُ إذ عَظُمت لِلّه منها وَطَهَ المصطفى الهَرَبُ[20]

ويبدو أن شاعرنا يتلمس النسيم الذي يهب من طيبة، فيتحسس فيه المواساة لشوقه المتأجج للمصطفى،

فهو نسيم خاص يتميز بالديمومة والطواف بكل أرجاء المعمورة، ولا يجد ريحه إلا المحبون العاشقون لطيبة ومن سكنها، وما زاد النسيم بهاء وعبقا تمازجه مع تلك المرابع التي يتضوع المسك منها فتتأجج العواطف ويعمق الشعور، كيف لا وهناك مشى الرسول وأصحابه، وهناك جلسوا، وهناك أقاموا وصلوا، وهناك ضم أجسادهم الطاهرة تراب البقيع، يقول ابن الطيب وقد أعطانا صورة شاملة عن كل تلك المشاهدات وكأني به يرى كل تلك البقاع دفعة واحدة:

يا مُقلتي هذا المقامُ الأكبَرُ والروضَةُ الغنّاءُ فيها المنبَرُ
والمسجِدُ الأسمى الذي محرابهُ أبداً على الأكوانِ طُرّاً يفخَرُ
هذي مرابعُ طيبةَ الغَرّا التي من طيبها طابَ الشذا والعَنبَرُ
هذا البقيعُ وذاك أشرَفُ بُقعَةٍ الآلُ والأصحابُ فيها أقبِروا
هذا النخيلُ وتلك دارُ المصطفى أفلا تَرى الأنوارَ فيها تظهرُ
هذا المكان الأعظمُ الأسمى الذي قد كان فيه المصطفى يَتَغوَّرُ[21]

أما صورة الوقوف على قبر الرسول الكريم فتلك حديث آخر، فابن الطيب في لحظة الوقوف باغته الشوق والحنين لشخص الرسول الذي استبد بقلبه وملك نفسه، متخيلا طيف النبي يحاوره، فيذهب لمناجاته ومحاورته مبديا شكواه من الفراق والبين، وبعاد مقامه وفراق العين لرؤية روضته الشريفة، فالقلب تقطع ألما والعقل غاب تحسرا، والحب تأجج وتفاقم، والنفس تهوى الشفاعة وتطلبها، يقول:

فهناكَ يحلو المدح دونُ تردُّدِ ويطيبُ تكراري الثَنا وتَرَدّدي
وأخاطبُ القبر الشريفَ مشافِهاً وأقولُ للفكر القَريحِ ألا ازدَدِ
وأقول يا خَيرَ الأنام جميعهِ يا صفوةَ اللَهِ العظيمِ الأوحدِ
يا خيرَ من وطىءَ الثرى وأجلّ من بذلَ الثوابَ لنائدٍ أو مُنشِدِ
هذا عُبَيدٌ جاءكُم مُتَطّفّلٌ يسعى بدَمع محاجرٍ لم يجمُدِ
مُتسَربلٌ بجرائرٍ وجَرائمٍ هدّت قُواهُ وكلَّ طودٍ أطوَدِ
فاشفَع لهُ فلقد أتى متشفعاً مولايَ بالسبطَينِ سبطي أحمدِ[22]

خاتمة

الدارس لشعر ابن الطيب الفاسي يلحظ ذلك السبك المتين في اللغة، والصور الفنية البديعة، والعاطفة الإسلامية الصادقة، فالقارئ لقصائده يشعر كأنه يعيش أجواء الحج ويتجول في رحاب الله وفي الأماكن

المقدسة، وهذه مقدرة فذة تُحسب للشاعر ابن الطيب، وعلى الطرف الآخر نلحظ ما يسمى الصدق الفني الذي يعد أساساً تقوم عليه القصيدة الشعرية، فالقصيدة واقعية لكنها تعطيك خيالا واسعا لهذه التجربة، فما أن تقرأ الأبيات حتى يشدك الحنين إلى زيارة الأماكن المقدسة، وتتبلل عيونك بالدموع حسرة، لأنك لم تكن مع جموع الحجيج تلبي معهم، وتذرف العبرات، لأنك لم تستطع أداء الحج، وتتحرق إلى زيارة الرسول "صلى الله عليه وسلم" تشكو له همومك وتبث أحزانك.

ولا بد من قول كلمة الحق في حق مثل هؤلاء الشعر المغمورين الذين لم ينالوا حقهم في دراسة أشعارهم أو حتى جمعها، إذ إننا نلاحظ أن شعرهم قد يكون أروع وأعمق من شعر الشعراء المشهورين البارزين، ففيه الصدق والتواضع، بعيدًا عن حب الظهور والبروز، فيبقى شعرهم أشد أثرا وتأثيرا في النفس، وقد حاولوا جاهدين تزيين قصائدهم بثوب قشيب من الحسن والجمال.

.....

الهوامش

[1] يُنظر عرائس الأفكار في مدائح المختار، مجموعة من المؤلفين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص 13 وما بعدها.

[2] سلك الدرر، محمد خليل المرادي، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، 1972، ج4، ص91.

[3] فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، محمد بن محمد الحجوجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018، ص62.

[4] الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني، تح محمد المنتصر، الطبعة الخامسة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1993، ص288.

[5] الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي، مؤسسة آل البيت، الطبعة الثانية، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمّان، 1994، ج3، ص164.

[6] شعر ابن الطيب الفاسي، عبد العالي ودغيري، الطبعة الأولى، البوكيلي للطباعة والنشر، 1996، ص27.

[7] نفح الطيب، المقري، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، 2000، ج1، ص40.

[8] نزهة المجالس ومنتخب النفائس، عبد الرحمن الصفوري، المطبعة الميمنية، 1889، ج1، ص151.

[9] شعر ابن الطيب الفاسي، عبد العالي ودغيري، ص29

[10] الكامل في التاريخ، ابن الأثير، الطبعة الخامسة، بيت الأفكار الدولية، 2009، ج1، ص242.

[11] نفح الطيب، المقري، ج2، ص23

[12] شعر ابن الطيب الفاسي، عبد العالي ودغيري، ص31

[13] الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، عبد القادرالجزيري الحنبلي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، المجلد 1، ص17.

[14] سلك الدرر، محمد خليل المرادي، ج4، ص102.

[15] شعر ابن الطيب الفاسي، عبد العالي ودغيري، ص35

[16] المصدر السابق، ص44

[17] رحلة الرحلات (مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة)، عبد الهادي التازي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2009، ج1، ص346.

[18] أخرجه الترمذي (2975)،وابن حبان في ((الصحيح)) (3892)،وأخرجه النسائي (3044)، وابن ماجة (3015)بمعناه

[19] رحلة الرحلات (مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة)، عبد الهادي التازي، ج1، ص344.

[20] نفح الطيب، المقري، ج2، ص25

[21] شعر ابن الطيب الفاسي، عبد العالي ودغيري، ص84

[22] المصدر نفسه، ص88.

المصادر والمراجع

1- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، عبد القادرالجزيري الحنبلي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

2- رحلة الرحلات (مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة)، عبد الهادي التازي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2009.

3- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني، تح محمد المنتصر، الطبعة الخامسة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1993.

4- شعر ابن الطيب الفاسي، عبد العالي ودغيري، الطبعة الأولى، البوكيلي للطباعة والنشر، 1996.

5- عرائس الأفكار في مدائح المختار، مجموعة من المؤلفين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007. سلك الدرر، محمد خليل المرادي، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، 1972.

6- فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، محمد بن محمد الحجوجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018.

7- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي، مؤسسة آل البيت، الطبعة الثانية، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمّان، 1994.

8- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، الطبعة الخامسة، بيت الأفكار الدولية، 2009.

9- نزهة المجالس ومنتخب النفائس، عبد الرحمن الصفوري، المطبعة الميمنية، 1889.

نفح الطيب، المقري، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، 2000.